أقسام الخطبة المحاضرة الثامنة

تنقسم الخطبة من حيث هيكلها إلى ثلاثة أقسام مرتبةٍ كما يأتي :المقدّمة- الموضوع – الخاتمة

أولا : المقدمة

1-تعريفـها:هي مدخل يمهد فيه الخطيب للأفكار التي سيعرضها في خطبته والمسائل التي سيعالجها خلال كلمته، ويتوخّى بها جلب انتباه السامعين إلى ما سيلقيه إليهم من تلك الأفكار والمعاني.

2-أثرها في نجاح الخطبة:يجب على الخطيب أن يهتم بمقدمة خطبته غاية الاهتمام ، وأن يجملها بكل وسائل التجميل المناسبة التى تجذب المستمعين إليه ، وتجعل النفوس تتقبل كلامه بقبول حسن ، فإن الفكرة الأولى عن شئ ، أو عن شخص تثبت وتَقَرُّ بالنفس ، والافتتاح أول ما يلقى الخطيب به الجماعة ، فإن وقع من نفوسهم موقع القبول ، كانت الخطبة غالبا على غراره ، واستطاع أن يصل إلى قلوبهم .قال ابن الأثير فى كتاب (المثل السائر) : " وإنما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يَطْرُق السمع من الكلام ، فإذا كان ذلك الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده ، توافرت الدواعى على استماعه ، ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة فى القرآن الكريم ، كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور ، وكذلك الابتداءات بالنداء ، كقوله تعالى فى أول سورة الحج : يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ، فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه .

وللخطباء مذاهب شتى فى افتتاحهم ، ولا نستطع حصر طرقها لأن أفضل مناهجها مرجعه إلى حسن تصرف الخطيب وجودة تقديره ، فمن الخطباء من يفتتح خطبته بما يشير إلى موضوعها كما فعل على رضى الله عنه فى خطبته بعد اختلاف الحكمين ، فقد قال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحَدَث الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق ، والعالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة ... إلخ.وقد نقل الجاحظ عن عبد الله بن المقفع أنه قال : " وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته ".ومنهم من يبتدئ خطبته بحكمة أو مثل سائر ، أو ببعض أقوال المتقدمين ، أو آية كريمة ، أو حديث شريف يناسب المقام ويكون حجة فى الاستدلال كخطيب يبتدئ خطبته فى تعاون الجماعة وإصلاح حالها بقول تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهمون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ".

وينبغى فى الخطب الدينية بدؤها بالحمد وببعض الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية . وما زال خطباء المسلمين فى صدر الإسلام والعصر الأموى والعباسى يبتدئون خطبهم بالحمد لله ، وكانت الخطبة تعتبر بتراء إذا لم تبدأ بذلك .قال الجاحظ : إن خطباء السلف الطيب ، وأهل البيان من التابعيين بإحسان،مازالوا يسمون الخطبة التى لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد (البتراء) ، ويسمون التى لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (الشوهاء).

3–أنواعها:قد يستهل الخطيب خطبته بآية قرآنية مناسبة للموضوع تحرّك المشاعر وتؤثر في نفوس المستمعين، أو بحديث نبوي شريف يستميل القلوب ويستقطب العقول أو بحكمة مأثورة يتخذها الخطيب مطيّة للدخول في موضوعه،أو يذكر الفكرة التي يدور حولها موضوع خطبته، ويأتي بها موجزة مثيرة منبهة للعقول محركة للنفوس،أو يستهل خطبته بقصة قصيرة يدخل منها على فكرة موضوعة أو يذكر المناسبة التي أعد لها خطبته.فيتّحصل لنا من ذلك أنّ المقدّمة تتنوّع إلى الأنواع الآتية:

1–نص قرآني . آية أو أكثر.

2–حديث نبويّ شريف.

3–حكمة مأثورة.

4–فكرة الموضوع بصورة موجزة.

5–قصة قصيرة مثيرة.

6–المناسبة.

4–خصائص المقدمة:ومهما يكن من أمر الافتتاح يجب :

1– أن يكون قصيراً موجَزاً لكيلا يشغل الذهن بغير المطلوب ، وهو موضوع الخطبة الذى يجب أن يكون عليه تركيز الخطيب .

2– وألا يكون مبتذلا تمجه الأسماع .

3– وأن يكون موافقاً للموضوع .

ثانيا– الموضوع

1–تعريفه:هو المادَّة التي يبني عليها المتكلِّم حديثه والأفكار التي يعالجها الخطيب في خطبته.

2– اختيار الموضوع: ينبغى أن يراعى فيه الاعتبارات التالية :– 1– أن يكون ذا صلة بالأحداث الجارية فى ذلك الأسبوع. 2–إذا لم يكن قد جد فى ذلك الأسبوع ما يستوجب لفت الانتباه إليه فليكن الموضوع علاجا لبعض الانحرافات التى ألفها المستمعون فى بيئتهم الخاصة .3– أن يكون موضوع الانحرافات المتأصلة معروضا فى أسلوب جديد ، ولو أنه فى مضمونه قديم ، والاستفادة الجديدة قد تكون فيما يدخل على الموضوع المعاد من أدلة صائبة ، وأمثلة تقريبية واضحة ، ومن أحداث شقية إلى مقارنات مثيرة ، يستفيق بها الغافل ، ويقلع من أجلها المصر على الانحراف إن شاء الله .فإذا اهتم الخطيب بمثل هذه الجوانب وبذل فيها جهدا كافيا من التفكير الرصين ، وعرضها بأسلوب جديد وطريف ، فإن ذلك لابد أن يضفى على الموضوع المطروق قدرا عظيما من عناصر التأثير .

4- إن من المواضيع ما يضطر الخطيب إلى تكرار القول فيه ، وذلك كموضوع الصيام عند حلول شهر رمضان ، وموضوع خطبتى العيدين ، وفى مثل هذه الأحوال لا يحسن بالخطيب – إذا كان ممن يحررون الخطب – أن يعيد ذات الخطبة بمادتها وشكلها وأسلوبها ، فإن ذلك عيب كبير،وكثيراً ما يستهين به بعض الخطباء ،وهو من أعظم عوامل الزهد فيما يقوله ،والحد من تأثير كلامه فى المستمعين.

5- ينبغى تجنب الاقتصار على المواضيع ذات الصفة المحلية ، إذ من الواجب أن يتناول الخطيب بعض الأحداث العالمية خصوصا ما يحدث فى العالم الإسلامى ليربط مشاعر المسلمين بإخوانهم ، فإن الله تعالى يقول :إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، ويقول نبينا ﷺ ﴿ مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الحسد بالحمى والسهر ﴾ فالواجب على الخطيب أن يهتم بأمور المسلمين ، وأن يعمل على ربط اهتمام مستمعيه بمشاكلهم وقضايا أمتهم .

3- إعداد الموضوع المختار : بعد اختيار الخطيب الموضوع ينبغى أن يفكر فيه ، ويدرسه من جوانبه المختلفة ، وليتخير لذلك ساعة فراغه ونشاطه ، وصفاء نفسه ، وتوثب همته ، فإن ذلك الوقت أدعى إلى الإجادة وأقرب إلى الكمال,وبعد تصور الخطيب لأبعاد الموضوع يقسمه إلى مجموعة من العناصر ويرتبها الترتيب المناسب ثم يفكر فى طريقة تناوله لكل عنصر وفيما يمكن أن يدرج فيه الكتاب والسنة وفيما يمكن أن يستنبط من الآيات والأحاديث .وعلى الخطيب فى المرحلة الأولى من تدربه أن يرسم العناصر وتوابعها على ورقة خاصة فى صورة مذكرة ، ثم إن كان ممن لا يحسنون الارتجال تولى تحرير الموضوع وتبسيطه فى ضوء ما كان أوجزه ورسمه فى صورة مذكرة ، ويحسن أن يصوغ ذلك فى لغة سهلة خالية من السجع ، وفى جمل قصيرة بقدر الإمكان.

4 - **ما يجب مراعاته فى الموضوع** :الموضوع الذى يتناوله الخطيب ينبغى أن يراعى فيه الآمور الآتية :

1- أن يختار الموضوع فى وقت مبكر ،فإن تأخير اختيار الموضوع إلى ليله الجمعة وربما يومها ، يؤدى بالخطيب إلى أن يقرر أى موضوع يخطر فى باله ، وربما لا يكون مقتنعا به القناعة التامة ، إضافة إلى أنه لا يترك له فرصة كافية للتحضير والتفكير فى عناصر الموضوع ومحاوره ، ويعانى الكثير من الخطباء من همّ اختيار الموضوع فيقترح إعداد قائمة متنوعة من الموضوعات ، يختار بعد ذلك من بينها .

2- التفكير الجيد فى الموضوع بل وطول التفكير فيه وهذا يستوجب الاختيار المبكر له –يقول (دايل كارنيجى) فى كتابه (من الخطابة) : "حدد موضوعك مسبقا حتى يتسنى لك الوقت للتفكير فيه مراراً ، فكِّر فيه طيلة سبعة أيام ، واحلم به طيلة سبع ليال ، فكر فيه أثناء خلودك للراحة ، وفى الصباح وأنت تستحم ، وفى طريقك إلى المدينة ، أو بينما تنتظر المصعد ، وعندما تكوى الثياب ، أو حين تطهو الطعام ، وناقشه مع أصدقائك ، واجعله موضوع حديثك، واسأل نفسك جميع الأسئلة الممكنة التى تتعلق به "

3- أن يكون الموضوع عن قناعة تامة ، لا تمليها ضغوط الشارع أو جهة معينة .4- التنويع فى الموضوعات والمجالات وعدم التركيز على جانب واحد ، فينبغى أن تشتمل موضوعات الخطيب الناجح على مشاكل الناس الاجتماعية وحلولها ، وعلى بيان واقع الأمة والمؤامرات عليها ، وعلى الحديث عن الأخطاء المتفشية بين الناس ، وعلى بيان العقيدة وتعليمها للناس ،وعلى بيان ما يحتاجه الناس

من أحكام عباداتهم ومعاملاتهم ،وعن الرقائق والوعظ ،وتذكير الناس ، وباختصار ينبغى أن تشمل كل ما يحتاج المسلم أن يعرفه فى حياته .وقد تجد البعض من الخطباء يركز على جانب الوعظ دون سواه ، والآخر على الجانب السياسى ، والثالث على الجوانب الاجتماعية ، وهكذا .إن هناك فئة غير قليلة من المسلمين لا يتلقون العلم إلا من خلال خطبة الجمعة، وإن تحقيق التكافل والتنوع فى موضوعات الخطبة يهيئ لهؤلاء حداً أدنى من الثقافة الشرعية .

5- التحضير الجيد والمتكامل للموضوع ، من خلال القراءة والاطلاع على ما كتب فى الموضوع حديثاً وقديماً ، وإن ترتيب الخطيب لملفاته وأوراقه ، وتدوين ما يمر بباله من عناوين لكتب ، أو مقالات ، أو موضوعات ، أو تقارير مما يعينه على ذلك .إن المنبر أمانة والمصلون ينتظرون أن يسمعوا الجديد من الخطيب ، ومهما كانت ثقافة الخطيب واطلاعه فإن لا يستغنى عن المراجعة ، والإعداد ، والترتيب لموضوعه ، ومن الظلم للمصليين ، وإهمال الأمانة أن يحدد الخطيب موضوعه متأخراً ، ولا يعد له فيجئ مهلهلا متنافراً .

6- أن يكون الموضوع حول واقع الناس وما يحتجون إليه ، فالعالم الإسلامى اليوم يموج بأحداث ساخنة ومضطربة ، والعقل المسلم يعانى من تحليلات الإعلام المضلل الذى يصور القضايا وفق ما يريد فلان ، أو غيره ، ولذا فإن المصلى ينتظر أن يسمع الكلمة الصادقة وعرض القضية من هذا الخطيب الذى يثق فيما يقول لأنه يعرف أنه يدرك أمانة الكلمة ، ومسئوليتها .

وثمة طائفة من المسلمين لا تتفاعل مع قضايا الساحة ولا تعيرها أى اهتمام ، فلها شأن آخر مع شهوات النفس ورغباتها ، وهذه الفئة تحتاج لمن يغرس فيها التفاعل مع قضايا المسلمين والاهتمام بها ، وأقرب الناس وأقدرهم على ذلك هو خطيب الجمعة .

وحين يتحدث الخطيب عن هذه القضايا لا ينبغى أن يفرط فى التحليلات السياسية والاجتهادات الخاصة ، والتى هى عرضة للخطأ والصواب ، إنما يركز على بيان وجه القضية ، والأخبار الصادقة عنها ، والمنهج الشرعى فى التعامل معها .

7- مناسبة الموضوع للمصلين ، فالمسجد الذى يؤمه كثير من غير أهل البلد قد لا يناسب التحدث فيه مشاكل اجتماعيه خاصة بهذا البلد ، والمسجد الذى أكثريته من الطلاب غير المتزوجين ليس من الحكمة أن يتحدث الخطيب فيه عن المشاكل الزوجية ، ومسجد القرية والبادية لا يستحسن الحديث فيه عن قضايا تخص النخبة المثقفة ، فعلى الخطيب أن يدرك طبيعة المصلين ، ويختار لهم ما يناسبهم وما يحتاجون إليه .

8 - العمق العلمى فى الموضوع ، فلا يكفى أن يقتصر الموضوع على عبارات إنشائية ، أو خواطر وأفكار شخصية ، وإن العناية بالاستشهاد بالنصوص الشرعية ، وأقوال أهل العلم والعناية بالتأصيل العلمى للموضوع يعطى المستمع الثقة والقناعة بما يطرح .

9- دقة المعلومات والتأكد من صحتها ومن ذلك : (أ) الأحكام الشرعية : ببحثها بحثا دقيقا وتأصيلها . (ب) الأحاديث النبوية : وذلك بالتأكد من صحتها وثبوتها ، لذا فعلى الخطيب أن يتعرف على طريقه التعامل مع كتب الحديث ليتسنى له الوقوف على ما قاله أهل العلم فى درجة أى حديث يود الاستشهاد به .

(جـ) الأخبار : فلا يليق بالخطيب أن يتلقف أية إشاعة أو خبر ليكون مادة لخطبته ، بل يتثبت ويتبين . (د) القضايا العلمية والمتخصصة : قد يتطرق الخطيب للحديث عن بعض الجوانب الطبية ، أو التخصصية فى أى فن ، وحين يتحدث الرجل فغير فنه يأتى بالعجائب فعليه أن يتأكد من صحة المعلومات ، فقد يكون ضمن المصلين أحد المختصين بما يتحدث عنه فيسمع الغرائب .

فعلى الخطيب أن يحذر الحذر التام من الكلام فيما ليس له به علم ، خصوصاً فيما يكون من دقائق العلوم التى لا صله له بمعرفتها ، فإن مثل ذلك لا يأمن فيه من الخطأ أو الارتباك ، فيخط من أجل ذلك اعتباره فى نفوس أهل المعرفة بذلك الأمر ، كما لا يأمن أن تتطور استهانتهم به فتتحول إلى الاستهانة بكل ما يدعو إليه مما ليس لهم علم ، قيساً على مالهم به علم ويكون الخطيب بهذا التصرف سيئاً من حيث أنه يريد الإحسان .

10- الوحدة الموضوعية : فلا يسوغ أن تكون الخطبة خليطاً متنافراً من القضايا والموضوعات ، ومليئة بالاستطرادات التى تشتت أذهان المستمعين .

11- تسلسل أجزاء الموضوع :ينبغى أن تكون أجزاء الموضوع متسلسلة بصورة يفضى فيها كل جزء إلى ما بعده ، وأن تكون حلقات السلسلة مفضية إلى النتيجة المقصودة .

1- الإيضاح الكافى : لابد من توضيح الموضوع الذى يتناوله الخطيب بأحسن بيان مع الاستعانة على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة ، وبضرب الأمثال ، وعرض بعض القصص الوجيزة المناسبة ، تأسيا بكتاب الله تعالى فى ضرب الأمثال ، وتوجيه الأمة إلى الاعتبار بقصص من تقدمها من الأمم .

13- الجمع بين التبشير والتحذير : لابد فى الموضوع الواحد من الجمع بين التبشير والتحذير ، ولا يعدل عن هذا المنهج إلا فى حالات نادرة ، ذلك لأن الجمع بينهما هو المنهج الذى اختاره الله لإصلاح عباده ، فالله سبحانه ما أرسل رسله إلا مبشرين ومنذرين ، والرسل عليهم الصلاة والسلام هم قدوة كل داع إلى الله .وإذا تأملنا فى القرآن العظيم وجدناه منزلاً على الجمع بين التبشير والتحذير ، فمن أمثله ذلك هذه الآيات : (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم) [1] .

(إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) [2] .(وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب) [3]

إن السر فى هذا الجمع واضح ، ذلك لأن القرآن يخاطب أصنافا مختلفة من الناس ، فمنهم من تسوقه الرغبة سوقاً إلى فعل الخيرات واجتناب المحذورات ، ومنهم من لا يستجيب لذلك إذا صدعت قلبه قوارع التهديد .

[1] الحجر 49 –50 .
[2] الأعراف 167 .
[3] الرعد : 6 .

ثالثاً : الخاتمة:

1–تعريفها:هي ما يُنهي به الخطيب خطبته، ويختم كلامه، ويتحقَّق بها تمام الموضوع، فهي بمنزلة الختام للشيء إذا بلغ غايته.

2–أهميتها وأثرها في نجاح الخطبة:هناك تعبير شائع بين الناس ، يعبرون به عن كل خاتمة طيبة وهو قولهم (ختامه مسك) وهذا التعبير مستمد من القرآن فى وصف شراب أهل الجنة إذ يقول تعالى : (يستقون من رحيق مختوم ختامه مسك) [4] .إن هذا الوصف الإلهى الكريم يشعرنا بما للختام من أثر عظيم فى النفوس . من أجل ذلك كانت الخاتمة جديرة بمزيد من العناية لأنها آخر ما يعلق بآذان السامعين ، فتكون أكثر استقراراً فى أذهانهم وأبلغ أثراً فى نفوسهم ، وعلى مستوى جودتها يكاد يتم ارتسام الصورة الانطباعية للخطة كلها ، ولمبلغ الأثر الذى تتركه فى العقول وفى القلوب .ولذلك يجب أن يكون فيها من جمال التعبير ن وحسن الانسجام وجودة المعنى ، وإصابة الغرض ، ما يبقى أحسن الآثار وأحكم الأفكار . والخاتمة الجيدة تتنوع فيها مناهج الخطباء ، فمنهم من يضمنها تلخيصاً لأهم عناصر الموضوع بأسلوب يغاير ما بسط به الموضوع ، وتكون آخر جزئية منها أحرَّ نقطة مضت فى الخطبة .ومن الخطباء من يجمع فيها أبلغ ما يحرك العواطف ويثير الحماس مستخدماً التساءل ، أو التعجب ، أو الاستنكار ، أو التفجيع أو الاستياء ، أو التحسر ، أو التأميل ، أو الابتهاج .... إلخ .

ومن الخطباء من يجمع بين الطريقتين فى الخاتمة الواحدة ، ومهما يكن من أمر اختيار الخطيب لطريقة الخاتمة ، فلا بد أن يتخير لها أنصع الألفاظ ، وأرشق التعابير ، وأوجز التراكيب ، وأن يختمها بجوامع الدعاء للسامعين ولجميع المؤمنين ، وخير الدعاء ما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن أمثلة الخواتم الحسنة ما جاء فى خطبة لأبى حمزة الأَزْدِىّ الخارجى حيث تعمد أن يجعل خاتمتها وصفاً لأحوال الشهداء من أصحابه فقال : (فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها ، طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً ، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد ... ثم بكى وقال رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحهم الجنان .ومن الخطباء من يكاد يلتزم دعاء معيناً فى منتهى الخاتمة : قال ابن عبد ربه (وكان أخر كلام أبى بكر الذى إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته : " اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك " وكان آخر كلام عمر الذى إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : " اللهم لا تدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى من الغافلين " وكان عبد الملك بن مروان يقول فى آخر خطبته : " اللهم إن ذنوبى قد عظمت ، وجلت أن تحصى ،وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى "

[4] المطففين الآيتان 25 ، 26 .